الكاتب الليبي محمد الأصفر:

اللهث وراء الاختلاف يلقي الكاتب في هوة التصنع!

طرابلس ـ «القدس العربي»:

يقول الشاعر مظفر النواب: «قليل من الناس من يترك في كل شيء مذاقا»، والكاتب الليبي محمد الأصفر ينساق وراء الكلمات بأسلوبه البسيط، المفعم بتلقائية فطرته، يلتقط ببراعة اللحظات الصغيرة الفالتة من الحياة، يكتب كما يعيش، لامبالٍ بالتداعيات الناتجة عن نشر النص، يميل في كتاباته إلى الواقعية النقدية، يلج الأبعاد الاجتماعية ذات اللمسات الساخرة التي تزيد من حدة الانتقادات.

ومحمد الأصفر القادم من مواليد الخمس بدأ الكتابة في اواخر التسعينات وكانت الانطلاقة من مدينة درنة.

صدر له «حجر الرشيد» «المداسة»، «تقودني نجمة»، «نواح الريق»، «شرمولة» و«سرة الكون».

هنا حوار معه:

نهاية الاحتمالات

■ تقول الكاتبة أحلام مستغانمي (إننا نكتب الروايات لنقتل الأبطال لا غير وننتهي من الأشخاص الذين أصبح وجودهم عبئا على حياتنا) بينما تقول أنت (أنا لا أقول شيئا من خلال نصوصي). فلماذا يكتب محمد الأصفر اذن؟

■ مقولة الكاتبة أحلام مستغانمي القائلة بقتل الأبطال والانتهاء من الأشخاص الذين أصبح وجودهم عبئا على حياتنا ناجمة عن عقدة مع الرجل خاصة الموهوب.. أنا عكسها دائما.. في رواياتي أتسلّى بقتل البطلات.. ليس لأنهن عبء عليّ فكلهن دمهن خفيف لكن لأن وجودهن في النص أكثر يسبب الملل.

■ بالنسبة للشطر الثاني من السؤال تقول أنا لا أقول شيئا من خلال نصوصي فلماذا يكتب الأصفر إذن؟

■ لا أدري لماذا اكتب؟ لكن لا اكتب لأقتل الأبطال.. أبطالي أجدهم هامشيين فابرز حياتهم الجديرة بالاحترام. الأبطال في نصوصي لا اقتلهم لكن البطلات دائما مصيرهن الموت الجسدي أو المعنوي أو الموت المفتوح أي اترك نهايتها قابلة لكل الاحتمالات وأي احتمال يولد في ذهن القارئ هو وجود منقاد إلى مرفأ أي إلى النهاية. لا أدري لماذا اكتب ولم أفكر في هذه اللماذا؟ في كتابتي لا أجيب عن أسئلة لذلك اكتب دون التعرض لمسائل واجب علي حلها اركل الكرة في أي اتجاه.. الجغرافيا ملعب شاسع لامتناه كلما اشعر برغبة في الكتابة اكتب حتى الشبع.. حتى النعاس والنوم.. أحلامي كتابة تستيقظ صباحا على ورق جديد وبالطبع لا أقول شيئا من خلال نصوصي فالنصوص القائلة هي نصوص تقريرية نصوص تنظير ومنابر لا علاقة لها بالأدب وجوهره الشفاف الهفهاف كلما زادت مساحة السكون والصمت في النص تسامت قيمته وجلت بؤرة المعنى فيه.. الحقيقة أني اكتب ولا أقول فالقول تركته للنقاد وللكتاب الساعين للمجد والتميّز. النص اكتبه بسيطا سطحيا واضحا يلمسه الأعمى ويراه البصير.. القارئ لا أقول له شيئا لا أمارس على ذائقته أي دكتاتورية بلاغية أو إبداعية لا ألف حول خطمه أي لجام أجرجره به أشركه في النص بإثارة عدة أسئلة لا إجابة جاهزة لها. الإجابة موت محقق ابعد عنه القارئ ما قدرت كل الإجابات في هذا العالم أثبتت فشلها. الفن والأدب والإبداع بصفة عامة شيء نسبي لا ثبات له ولا رسوخ الإبداع هو الثورة هو الهيجان المستمر والفوران الذي لا يتبخر ولا ينتج إلا ملح المجاز.

شرارة البدء

■ كتبت النص الشعري وضمنته في رواياتك لماذا لم نر محمد الأصفر كشاعر؟

■ اعتقد أنني شاعر ولو لم أكن شاعرا ما كتبت ست روايات في زمن قصير حوالي ثلاث سنوات. الشعر لديّ لا تحتويه الكلمات لو تتبعتي أحداث أي رواية من رواياتي لرأيتي قصيدة حيّة تلبس كساء الكلمات وتتجول في النص عبر عدّة هيئات.. في الرواية تجدين نصا نثريا قصة قصيرة مسرحية أمثالا وحكما وملحا استطلاعا أغاني رياضة برنامجا وثائقيا كل هذه الأشياء المبثوثة في رواياتي هي قصيدة شعرية مفككة تجمع كلماتها مغناطيسات الذائقة المتسامحة المرحبة بالجديد.

بدأت الكتابة كشاعر ومعظم قصائد النثر الموجودة الآن في رواياتي كتبتها عام 1999م و2000م وتم استهجانها آنذاك لأنني غير معروف ونشرتها منفصلة ولم أضعها في سياقها الحقيقي داخل متن الرواية..

القصيدة وعاء متسع يحلق فيه المبدع في فضاءات واسعة

والقصيدة بالنسبة لي ليست هي الشعر.. التفعيلة أو العمودي أو النثر.. القصيدة لدى هي حالة كتابة أسكبها على الورق ولتتشكل في أي صورة شاءت.. ديدني الانسياق وراء الكلمات لأجد نفسي في السرد وليس معنى ذلك أنني أهملت الشعر فكل نص اكتبه أبدأه بقصيدة ومن القصيدة انطلق في متاهات الإبداع.. عندما انتهي من النص أحرك مكان القصيدة بأن اجعلها في منتصف النص أو في نهايته.. الشعر في أغلب الأحيان هو شرارة البدء وأعظم قصيدة قيلت حتى الآن هي كلمة كن.

نسيج الرواية

■ قلت في حوار سابق تظل القصة هي الأقوى بما فيها من تفاصيل صغيرة قصيرة ولحظات وامضة لماذا اتجهت إلى الرواية إذن؟

■ مازلت اكتب القصة اكتبها وازرعها داخل نسيج الرواية.. الرواية الحديثة مجموعة لوحات أو مجموعة قصص ظاهريا منفصلة عن بعضها وداخليا متشابكة جدا.. الرواية معناها أن تحكي وأنا أحكي حسب مزاجي وليس حسب تنظيرات النقاد.. عندما انتهي من الكتابة اكتب تحته محمد الأصفر فقط ولا أجنس العمل.. دور النشر هي من تفعل ذلك وأنا لا أعترض ما يهمني هو مادة العمل وليس اسمه.. المادة جوهر خالد.. أصل.. الاسم شيء مستحدث قابل للتغيّر والتلون والإلغاء.

رواية «شرمولة» مثلا تتكون من عدة لوحات تجدين فيها القصة مثل قصة المطرب الشعبي عبد الجليل عبد القادر، تجدين فيها المقالة الحوار الصحافي أدب الرحلات الخواطر الانسانية والوجدانية.. من يكتب القصة يمكنه أن يتحول إلى كتابة الرواية والمستحيل العكس.

وتظل القصة بالنسبة للرواية مثل الشعر بالنسبة للنثر.. القصة القصيرة تلتقط بواسطتها اللحظات الصغيرة الفالتة من الحياة والتي يمكن للرواية أن تضطلع بها دون التورط في فخ الإطناب ومهما كتبت من روايات فسأظل كاتب قصة.. قصة تروى..

تداعيات النص

■ أنت متهم في نصك بأنك تكتب طبق الأصل سيرتك اليومية في الشوارع والبيت والعمل ماذا تقول؟

■ اعترف بذلك فأنا تلقائي وصادق إلى ابعد حد اكتب ما يحدث لي في البيت في الشارع في الأحلام في الخيال، أسجل كل شاردة وواردة، اكتب تقارير عن نفسي. من يخالطني أش به إلى نفسي قد تدفنه نفسي في سجن الكراهية أو تزرعه في نبض الحب. ليس لديّ جرس إنذار ما أفكر فيه اكتبه. لا أسعى أن تكون كتاباتي جيدة وموافقة للنظريات النقدية والأدبية التي أحترمها.. مقياسي الوحيد هو القارئ العادي غير المتخصص إن أعجبه النص شعرت بالارتياح للحظة أبدية.. الانصياع للنظريات النقدية معناه الوصول إلى النجاح والتجويد والرقي ومشكلتي أنني لا أحب هذه الأشياء.. أعشق الهبوط.. الهبوط إلى أسفل سافلين...الخ وفلسفتي هي عشق الفشل.. الفشل حكمة كبيرة ولحظة صدق نعيشها دائما ولا نعترف بها..الفشل دائما يهمني.. فلا أكتب أي شيء كامل النجاح.. النجاح والجوائز لا تهمني أيضا.. الأصدقاء لا يهمونني بل لدي كثير من الأصدقاء أود لو أتخلص منهم.. هذا الاتهام لا أنكره اكتب كما أعيش وهذا شيء صعب جدا أن تخلق من حياتك وحياة من حولك أدبا..هو ضرب من العذاب.. هذا الأمر غير متاح لكل كاتب.. يحتاج إلى موهبة مشتعلة وجرعة صدق كمحيط وقراءة مستمرة ومعاناة وتضحيات بكل شيء ونسيان وتحرر من كافة الظروف الاجتماعية ولامبالاة بالتداعيات الناتجة عن نشر النص.. الكتابة بهذه الطريقة ليست متاحة للجميع.. أغلب الكتاب يتحدثون عن الآخر وما أصعب أن نتحدث عن أنفسنا ولو بالكذب.

ضوء غير مرغوب فيه

■ هل كانت القصة القصيرة بالنسبة لك مجرد تدريب على الرواية؟

■ أنا لا أحب التدريب.. اكتب دون مسودات.. دون شطب أو تنقيح.. كتبت القصة.. ومن القصة وجدت نفسي اكتب رواية.. الكاتبة ليلى النيهوم قالت لي: لديك إمكانيات كتابة الرواية.. كتبت فصولا من رواية «المداسة» ومن «المداسة» بدأت أدوس ما أمامي والذي أتى به القدر خلفي أرفسه بشدة.

■ التنوع والغزارة في الكتابة في أكثر من حقل ابداعي هي من الأمور اللافتة في تجربتك.. كيف تجد الوقت لمقاربة كل هذه الأمور؟؟

■ الوقت هو الذي يجدني.. تعيش في داخلي حالة الكتابة.. أنا كاتب مخلص لهذا الهم.. لا يهمني شيء في هذا العالم سوى القراءة والكتابة.. اكتب في أي وقت وفي أي مكان وتحت أي ظروف.. كل العالم اشعر أنه مخلوق من اجل كتابتي.. أسافر إلى مدينة صحبة زوجتي من اجل كتابة بضعة سطور.. قد امكث شهرا أو أكثر لا أفكر في المال أو الأكل أو السكن.. كل مدينة لي بها أصدقاء وان لم أجد أصدقاء اصنع أصدقاء جددا.. لا أتقيّد بالشكل في الكتابة أو الموضوع. اكتب ما اشعر به.. أي نص يستهويني أضعه في الرواية.. قد يكون له علاقة بالموضوع وان لم يكن له علاقة علقته عنوة.. النصوص الجميلة دائما تحب العنوة.. اصنع له علاقة متينة أو هشة لا يهم.. الكتابة لدي حالة عشق أو فلنقل حالة مرض لا أريد لها الشفاء.. كل من يقدم لي ترياقا أراه سما فلا أتذوقه.. أنا كيميائي نفسي وحكيمها الأوحد.

محمد الأصفر (القدس العربي)

مطية الرحيل

■ نصك يتأرجح بين المغرب وتايلند وليبيا والصين وتركيا فأي مدينة تسكنك؟؟

■ الصين لا أحبها لأن أناسها تبصق على الأرض وأنا أحب الناس التي تبصق على الوجوه..

المدينة التي ارتاح لها هي مطيّة الرحيل.. حالة السفر الدائم.. ليس هناك مدينة بالمفهوم العمراني تسكنني.. ما يسكنني هو نفضة أحاسيس واتساعة مدى وخليط من الابتسامات والإشراقات المبهرة بملح بنغازي وطين مراكش ورذاذ بانكوك الملوث. المدينة التي تسكنني لا أتناول منها أجرة اتركها تسكنني مجانا مثل الزهور الدائمة في قلبي.. أغذيها بالأمان والحرية والجنون.. مدينتي هي الحرية الجمال الصمت ووطني هو حبر الحقيقة.

هذه الأشياء أجد نتفا منها في بنغازي رباية الذايح وفي مراكش الحمراء وفي بانكوك مدينة الشمس المشرقة والابتسامة الدائمة أجد نتفا ضئيلة يستحيل جمعها في مدينة واحدة فالإسفنجة المثل ما زالت تتملص من أخاديد أصابعي وتنذلق قريبا مني رواية مجنونة كغرور الخيال.

الاختلاف والتميز

■ نقديا أنت مهتم بالمضمون أكثر من الشكل ماذا تقول؟

■ اجل اهتم بالجوهر إن وجد.. لكن الجوهر أتناوله من خلال السطح.. ترى كتابتي سطحية بسيطة ساذجة. انسان يحكي أو يتكلم.. يعيد ما قاله في المرة السابقة.. يكرر الشيء مرات ومرات.. مفردات متوالية.. البعض يرى السطح والبعض يرى العمق من خلال هذا السطح.. السطح باب العمق وكل الأعماق المعروفة حتى الآن لها أبواب.. الجوهر والمضمون موجود في كتاباتي جميعها.. أرى قلوب الناس ولا أرى ملابسهم اسمع نبضاتهم ولا اسمع جعجعاتهم أنا اكتب كلمات عادية تتحدث عني أو عن أي شيء مثلا:

«ولد يستيقظ صباحا
يتلفع بمنشفته رائدا دورة المياه
أمه تستوقفه قائلة:
الماء متوقف منذ الليل
ولم اتوضأ إلا بقطرات الماء التي ينقطها ايركوندبشن «جارنا».

في الكتابة لا أسعى إلى شكل جديد يميّزني اكتب ببساطة وتلقائية مفرطة.. أترك الخراب ينهال حيث أراد.. الشكل الذي يولد معي لا أجهضه.. اتركه يعيش.. الكتابة شيء بسيط.. لا تعقيد فيه.. اللهث وراء الاختلاف يرمي بك في جب الاصطناع أكثر.. المتشاعرون والمتقعرون والمتحدّبون أيضا هم كتاب ينشدون الاختلاف.. الاختلاف والتميّز يأتيان هكذا تلقائيا.. ابتسموا كما الأطفال ولا تمسحوا لعابكم.. اتركوا عرقكم يلعب على الخدود ويسقيها ألقا.. الكتابة تحتاج إلى موهبة ومن لا يملك الموهبة فلا يتعب نفسه.. عليه أن يبحث عن موهبته في مجال آخر وما أكثرها في هذه الحياة. بالنسبة لي بحثت عن موهبتي في عدة مجالات، التدريس التجارة الرياضة الفن.. كل تلك المجالات فشلت فيها والآن سأفشل في الكتابة أيضا لأقفل دائرة الحظ بأوتار اللعنة.

بنغازي شتاء 2005 م

التقته: حنان علي كابو

تصدر بالفرنسية الربيع المقبل وتترجم للانكليزية والالمانية:

يوم دراسي حول «درب الحليب» لباسم سكجها في المغرب

الدار البيضاء ـ «القدس العربي»

حظيت رواية «درب الحليب» للكاتب الأردني باسم سكجها باهتمام كبير من أسرة تدريس وطلاب كلية الآداب في جامعة الحسن الثاني/ عين الشق المغربية، وعقدت الكلية يوماً دراسياً لمناقشة الرواية بحضور الكاتب وأساتذة الكلية وطلابها وبرئاسة الأستاذ محمد أوجطي.

وأعلنت الدكتورة حليمة بن نعوم في بداية اليوم عن إنتهاء عملها في ترجمة الرواية للغة الفرنسية لتُنشر في باريس في الربيع المقبل، كما أعلنت عن بدء زميلتها الدكتورة زوبيد رشيدة بالترجمة للغة الألمانية بالاضافة إلى قرب إنتهاء عمل الترجمة للغة الإنكليزية.

وقالت بن نعوم إنّها تعرّفت إلى الكتاب والكاتب بالصدفة، فأثارتها الرواية إلى حدّ قراءتها عدة مرات ثمّ الاتفاق على ترجمتها للغة الفرنسية، وعرضها على زملائها الذين أبدوا إهتماماً مشابهاً وصولاً إلى ترجمتها إلى عدة لغات.

وأضافت إنّ بنية الرواية ولغتها وشخصياتها وأحداثها تثير فرادة غير مألوفة في أدبنا العربي الحديث، مما يضعها في مصاف روايات عالمية نادرة، وتبشّر بالمساهمة في تكريس الرواية العربية في العالم.

ونقدم هنا مداخلة محمد أوجطي من قسم اللغة الانكليزية اليوم الدراسي بعرض تجربته مع الرواية، وقال: سيداتي سادتي، السلام عليكم ورحمة الله، يشرفني أيها الحضور الكريم أن أقدم لكم الأستاذ باسم سكجها.. الذي سنقوم في هذه الصبيحة بتدارس روايته «درب الحليب» التي صدرت قبل سنتين، وتعالج أحداثا جساماً في تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي، لم يتجرأ بعد كتّاب أو روائيون لمعالجتها.. ولباسم فضل تناولها في شموليتها الملحمية بشجاعة أدبية وطموح كبيرين. وبما أنني سبق لي أن اشتغلت ذات يوم في مختبر للخرائطية، فقد أثارني غلافها الذي يحمل صورة جوية لأرض فلسطين والأردن ولبنان وسيناء والبحر الميت. وتساءلت عما يمكن أن تقوله هذه الرواية الواقعية أكثر من اللازم على ما يبدو حول قضية العرب الأولى. وزادني فضولا عنوانها الغريب «درب الحليب». فما رأيت قط درباً للحليب حتى في منامي، ولم أربط ذلك العنوان بدرب التبانة حتى بدأت القراءة. ولما فعلت وجدتني اقرأ رواية غير عادية بكل المقاييس، ويمكن أن أجمل أهم مميزاتها في الفقرات الآتية.

تعرض هذه الرواية، التي لم نقرأ مثلها منذ وقت طويل، منذ «موسم الهجرة إلى الشمال» للكاتب السوداني الطيب صالح، تعرض قراءة تاريخية أركيولوجية وحضارية للصراع العربي الفلسطيني مع الصهيونية، وتتجاوز ذلك لتناول صراع الحضارات، شمال/جنوب. كما أنها تؤرّخ لزمن من أزمان الأمل الذي مثله الكفاح الفلسطيني بالنسبة لكثير من شباب العالم في السبعينيات من القرن الماضي، وكذا اليأس والمرارة والإحباط الذي تلا تلك الفترة وكان سببه جهات عربية رسمية من جهة و إغراق في الرومانسية الثورية من طرف المناضلين أنفسهم من جهة ثانية.

إنها، على المستوى الأفقي، قصة مؤلمة عن الحروب الأهلية التي كان وقودها الشعب الفلسطيني في أكثر من بلد عربي، لكنها في العمق أكثر من ذلك، حيث تتناول قضايا إنسانية شمولية ووجودية تكاد تضاهي في موسوعيتها رواية «يوليسيز» للروائي العالمي جيمس جويس، ولكن بلغة عربية سلسة لا يخطئ القارئ أن كاتبها صحفي وأديب في آن معا، يمزج الأسلوب الواقعي التقريري بالأسلوب الشاعري الحالم أحياناً، وبالأسلوب الرمزي أحياناً أخرى.. ولا يمكن الوصول إلى فهم صحيح لأحداث القصة وبقية أبعادها إلا من خلال دراسة منهجية سيميائية ونصية لرموز العصا والأفعى والصخر والماء ودرب التبانة والبرازخ والبحار التي تشكل النسيج الرمزي للرواية، وهو ما يمكن القيام به في مناسبة أخرى. لقد استمتعت بقراءة هذه الرواية، كما أنها أفادتني من حيث أنها أعطتني في أقل من 300 صفحة ملخصاً للحمة الأمل واليأس وملحمة الإعتزاز التي عايشتها وأنا شاب، كما عايشها غيري، على بعد ثلاثة آلاف كيلومتر من موقع الأحداث، ولكن عايشتها كما لو كنت واحداً من شخوصها أو ضحاياها. لكنها لا تصف تلك الأحداث وصفاً حماسياً فخرياً مضخّماً للأشياء، وإنما في نبرة مأساوية تعبرّ أحسن تعبير عن خيبة الأمل والهزيمة وتقاتل الإخوة وألوان الحصار.

ولعل من أهم الأفكار والمقولات الفلسفية التي تؤكدها رواية «درب الحليب» بنجاح ملحوظ فكرة أن المبادئ التي تبدو لنا حقائق سرمدية ومسلمات في فترة من الزمن، لا تلبث أن تتغيّر في أقل من نصف حياة جيل واحد. ففكرة الإلتزام السياسي والنضالي، الذي يؤمن به المرء حد اليقين، قد لا يصمد أمام امتحان الزمن، وحتى أمام بعض الإغراءات ومتطلبات الجسد والذات.

إن هذه الرواية عن تغيّر الأحوال، وتغيّر الناس، وتخليهم عن مبادئهم الأولى. ولعل الكاتب قد بالغ في تصوير تسلسل أحداثها بشكل كاريكاتوري عندما جعل «عامر» (وهو إسم، على فكرة، على وزن «فاعل» أو «باسم» مثل الكاتب، لكن هذه قضية أخرى) بطل القصة يتحولّ من مناضل يساري شيوعي لا يؤمن بالدين، إلى رجل شبق يقبل بشعوذة العرافات ومعاشرتهن، بل واصطحاب بعضهن في تجاربه الصوفية، وإلى «ملتح»، «إسلامي» يفجّر نفسه في أهداف مدنية أمريكية على طريقة أتباع «بن لادن» أو «الزرقاوي». لكن القاسم المشترك بين مراحل هذه الصيرورة هو التفجير: من تفجير الطائرات بالزرقاء في السبعينيات، إلى تفجيرات واشنطن و(نيويورك) في 2001. هذا، مروراً بالانتقال من النضال المسلح إلى نضال القلم والعمل الصحافي.

وقد كان لا بد لهذه الرواية من تناول شيء من الحب الذي لا تخلو منه كل رواية تحترم نفسها. إلا أن «درب الحليب» تناولته في شكل سلسلة مغامرات مجزوءة، ربما عن قصد، وغير مكتملة، أساسها الرغبة الجنسية أكثر من المشاعر العميقة. فالكتاب يروي أكثر من عشر قصص حب لا يتجاوز طول الواحدة منها، أو بالأحرى طول الحيّز المخصص لها، بضع فصول، وكثير منها لا يتجاوز فقرات معدودات.. ليستخلص القارئ أن الكاتب متشائم يشكك، من ضمن ما يشكك فيه، في قيمة الحب التي تبشر بها روايات عالمية كثيرة وتضعها في أعلى مراتب القيم.

باسم سكجها (القدس العربي)

ورغم جرأة التجريب في هذه الرواية، التي يصاب قارئها بالدوار أحياناً، وهو يحاول تتبع أحداثها وشخوصها في تنقلاتهم، من مجال إلى مجال، ومن ساحة أحداث إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، بل ومن قارة إلى أخرى، مع استعمال مدروس لتقنية الـ«فلاش باك» أو العودة إلى الوراء، وتداخل فصول الرواية وتشظيها وتماثل شخوصها، فإنه يمكن القول بأن هذه القصة سيرة ذاتية لعامر على شكل ما يسمى بالألمانية Bildungsroman، أو رواية النشأة، بطريقة تذكرنا برواية A Portrait of the Artist لجيمس جويس. وبالفعل، يمكن إعطاء الرواية عنواناً آخر لا يقل جاذبية عن «درب الحليب» هو: A Portrait of a Professional Terrorist، ومن المؤكد أنه سيجذب كثيراً من القراء، خصوصاً في العالم الجديد. مع ما يوفره ذلك من فرص نقدية لإستكناه مضامين الرواية وأبعادها.

إن مما يستفز القارئ، أو يثيره أيضاً، تقنية السرد وعلاقة الراوي الطبيب ببطل القصة، الذي ليس في الحقيقة ببطل بالمعنى التقليدي للكلمة، وإنما نوعا من الـAnti Hero الذي نجده في كثير من الروايات الحديثة. هذا الراوي الصديق، الطبيب النفساني المتعلم، العقلاني الوضعي، من الطبقة الوسطى والمحافظ والذي يبوح له البطل الثوري المتقلب الأطوار بكل صغيرة وكبيرة، والذي يعلق ببرودة على ما يسمعه من عامر، بل ويحكم على أحداث الرواية، وإن بشكل غير مباشر، يستحق دراسة معمقة في حد ذاته. فهو يذكرنا بنفس التقنية التي استخدمها الروائي الأمريكي «سكوت فيتزجيرالد» في روايته الشهيرة «كاتسبي العظيم»، حيث يحار القارئ هل القصة قصة الراوي «نيك كراواي» أم قصة البطل «جيم كاتسبي» أم قصة كليهما، مع ما لذلك من انعكاسات على معاني الرواية ومضامينها الفلسفية.

إن «درب الحليب» كتاب عن النضال والحب والكتابة الصحافية والبحث عن الحقيقة، ويحمل بين ثناياه مقولات فلسفية حول كل واحدة من هذه الثيمات. فهو يثير تساؤلات بلاغية حول الكتابة ذاتها: هل الصحافة والكتابة الصحافية (ومن ورائها العمل السياسي) سلاح كاف لكسب قضية وتحرير وطن؟ وفيما يتعلق بالحب والمرأة، تؤكد الرواية بطريقة جميلة أن المرأة عالم مجهول، مليء بالجاذبية والإثارة، ولكنّها قد لا تستحق كل الحب والتفاني الذين يخصّها بهما البعض. بينما تؤكد أن المادية الجدلية لا تكفي لتفسير العالم وتناقضاته وحل قضاياه، إذ لا بدّ من شيء من الروحانيات لفهم العالم والطبيعة البشرية وفهم الحياة. في حين تُبين سيرة عامر التي تنتهي بطريقة مأساوية تضرب حياته كلها في صفر، بأن كل ثورة تتخللها خيانات وتراجعات وتتلوها خيبة أمل.

وختاماً، فإن هذه الرواية، كأي عمل إبداعي حقيقي، يكتنفها شيء غير قليل من الغموض، وتشتمل على عدد من الرموز والألغاز، الشيء الذي يجعلها تحتمل أكثر من قراءة، وأكثر من تأويل. وخير مثال على ذلك، النهاية المفتوحة التي وضعها لها الكاتب، حيث يمكن أن يرى فيها القارئ محاولة محتشمة، بعد علاقات الحب (والإنجاب) التي ربطت عامر البطل بعدد من النساء من أديان أخرى، للقول بأن من الممكن، بل لا مناص، للعرب واليهود (أبناء عمومتنا) أن يتعايشوا على أرض فلسطين. لكنني اعتقد أن هذه الرواية التي لم تؤكد ذلك بإقناع. فكيف يمكن التعايش مع قوم يقتلون الأطفال، ويكسرون عظام الشباب، ويبنون الجدران، ويقطعون الأشجار (وهي أشياء لم يأت ذكرها في الكتاب)؟ لا يسع المرء إلا أن يقول مع أحمدي نجاد بأن أوروبا أولى أن تتعايش مع اليهود، وأن تفسح لهم مجالا بين ظهرانيها.. على كل حال، أشكر الأستاذ باسم سكجها الذي أمتعني بحق وجعلني بشكل غير مباشر أن ارسخ قناعتي هذه.

أكثر من 620 ناشرا عربيا وأجنبيا في معرض القاهرة الدولي للكتاب

■ القاهرة ـ رويترز: يشارك 623 ناشرا عربيا وأجنبيا من 32 دولة في معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي ستبدأ دورته الثامنة والثلاثون يوم 17 يناير كانون الثاني الجاري. أعلن ذلك ناصر الانصاري رئيس الهيئة المصرية للكتاب التي تنظم المعرض سنويا مشيرا الى أن 106 ناشرين عربا سيشاركون في المعرض الذي يستمر حتى الثالث من فبراير شباط القادم بزيادة 58 ناشرا عربيا عن العام الماضي. وأضاف في مؤتمر صحفي اليوم الثلاثاء أن عددا من مديري معارض الكتب العربية والاجنبية سيشاركون في معرض القاهرة مشيرا الى أن فرانك فالتر شتاينماير وزير خارجية ألمانيا سيحضر الافتتاح كما طلب القاء محاضرة. وأشار الى أن ندوات المعرض ستتركز على محورين هما «التنوع الثقافي في ظل العولمة» و«ثورة المعلومات وأثرها على ثقافة الشباب» من خلال عشر ندوات.

وأضاف أن المعرض سيخصص يوميه الاول والثاني للمتخصصين في مجال الطباعة والنشر والنقاد والاعلاميين على غرار ما يحدث في معرض فرانكفورت الدولي الذي يعد أكبر معرض للكتاب في العالم. وأشار الى أن 54 رواية مصرية صدرت عام 2005 وستخصص ندوات لمناقشتها. كما سيحتفل المعرض برواد شعر العامية المصرية بيرم التونسي «1893 – 1961» وفؤاد حداد (1927ـ1985) وصلاح جاهين (1930ـ1986).

وقال الانصاري ان ألمانيا التي اختيرت أول ضيف شرف للمعرض سيكون لها حضور بارز من خلال برنامج ثقافي يقيمه الجانب الالماني ويشمل ندوات فكرية وعروضا موسيقية وسينمائية ومسرحية ومعارض تشكيلية الى جانب ندوات أخرى تقيمها وزارة الثقافة المصرية. وأشار الى أن المفكر الالماني يورجن هابرماس الذي وصفه بأنه أهم الفلاسفة الالمان الاحياء سيتحدث في احدى الندوات حول قضيتي «الدين في الحياة العامة» و«مستقبل حقوق الشعوب». وأضاف أن ندوة موسعة ستقام حول مدرسة فرانكفورت الفلسفية ذات التوجهات اليسارية التي تبنت فكر التغيير الاجتماعي وكان من أبرز فلاسفتها هربرت ماركوزه (1898ـ1979) وماكس هوركهايمر (1895ـ1973) وتيودور أدورنو (1903ـ1969). ويعد هابرماس من أبرز ورثة مدرسة فرانكفورت. وأشار الى أن البرنامج الالماني بالمعرض سيعنى بالتعريف بالثقافة الالمانية اضافة الى بحث المشترك الثقافي والانساني بينها وبين العالم العربي من خلال ندوات منها «ماذا بعد دراسات ادوراد سعيد الاستشراقية» و«الادب العربي في الترجمات الالمانية» و«العالم العربي في الاعلام الالماني». وكانت الثقافة العربية ضيف معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في أكتوبر تشرين الاول 2004.

بكيتُ أنا، والسماء

منير ابراهيم

1
امرأة (تنشُ) الجسد
على جمر من خشب الرمان
تفرغ مع من لا تعرف من
تفترش الجدران الملقاة على القدمين
الى أين، تهاجر قبل قطار الناحية
افلحت بها يوما،
تورقنا مثل الصفصاف
انهال الليل على كتف الضوء
اللحظة، تجذر فينا القمح الاخضر
شهدُ السبل ينبت
يكبر
يصفر
يعدم بمناجل جوع القرب
يطحن
يعجن
يخبز
على جمر من خشب الرمان

***
كانت نافذتي تتسول ماضيها
نرجيلتها في بقعة شمس، آخر كل نهار
تدخل عينيها، تسد ستار القد
سطر من قلب الباب
ينهال قميص الفجر على رمل قميصي
قبل الجمر، تصفر،
وتخضر،
وتحمر
بمذاق الجهر تُقبل سكين الشعر
كأس يندلق على نهد ابيض
من لحم الشقة تقطع حبل السرّة
تهنئ كل اطبار النسل
مجندة تحلق ذقن النوم
بماء السخان
على جمر من خشب الرمان

2
يتبعها دمي المسروق
تقصد قتلي حرفا حرفا
دفن النوم بهاتين
اخلع قدمي الى درج من ماء النار
ورائحة دهان ازرق
اشرب صوت الدمع
يبك في السمع دم بارد
يتفرد في عمقي
يبك على ورق ابيض دمعي
بدموع زرقاء

3
وا يدي للذي في يدي
هو لي ولكم
يمثل الليل
ترى ما يقول
انا راحل الى ما تشاء النوارس
والرقص بين الطبول
كيف يسكت جرحي
يسكب احرفه
من قبول تراجع الى اللاقبول
اقفاصنا من دماء
وهدم الخيام
على ظلها في السجون

4
تركتك قمحا
وهبوب جدائل
امرأة تنده طفل نهار ترعاه
القمر يخلع ليل الدنيا
ويبيت على الجدران
يتفقد صمت الخبز
من حسرة سر الوحدة
وهروب الحلم من الحلم
وكم الافواه!!!

5
الليل يتوق الى ضوء الكلمات
يفتح في الصخر شرخا
من نور
يدفن صوت البور

6
زمن القصف
ابان حروفي الموجوعة
من خوف الوصف
كان العمر يتساقط حرفا حرفا
ويدق النبض
طبول الرفض
كانت اغنيتي تفض جميع
رسائلها
المسكونة بالنار
تعترف بقبلة كل الطلقات
للعينين الدامعتين على
خوفي
أن لا القاك
وانتهت الحرب
كأني اول مولود
في الحب
ابتعت يديّ الذابلتين
من الزحف
لألفك بهما خوفا مني
أن افقدك ولو في الحلم
كأني ايتها الحنونة
استيقظ من غفوة دهر
القلب تحطب
فارتعدي فيه
لنكون الاثنين
جمرا من خشب
الرمان

7
ذات مساء ساخر التقطني من الدفء،
وخرجت مباحا لكل ما أراه، غير مبال الا
بمشاهدة زيتونة البدر المضيئة خلف سياج
من الاسمنت، لوحت لي بذكريات سالفة
بمنديل سكبته على وجهي كي تلجم بحة
صوت المطر، وصوتي الذي لا يكف عن ازعاج
الهدوء، تجعدت من كثرة الاقدام، وهدأت الى
هدوء التراب والشجر حين تدب بها روح
الغيوم دما من قطرات الندى، وضيوف الفجر
من اطفال النهارالمزقزقة على ايديها.
كنت اتمتم من شدة البرد، فرحا بالورق
الاخضر وصفير شفتي الحالمتين بمولود من
حبات التراب، يقرأ انشودة الحياة.
ها هي زيتونتي عبرت خط النار، حضنت
الشهداء، وقرأت الفاتحة على ارواحهم،
وشدت من أزر المارين تحتها بوجوه تبرق من
ملامستهم لينزل بعدها المطر، وأبكي انا
والسماء.